الحصار

تخطو خطوتك الاولى
تصطدم بحزمة ضوء
تبهت ،
تسكن اصوات حولك
وتئز رصاصات الانذار الاولى
ويجيء الصوت :
ـ « سلّم نفسك »
يتواطأ ليل ورصاص
تحكم غربتك عليك الابواب
يقف الذل غريما للموت
يتلاشى من حولك زيف البسمات
تحيات مجاملة الصبح
وتنطفىء وجوه الاصحاب
في بقعة ضوء تختصر الدنيا ،
الموت خطا تتراكض في العتمة ،
والليل نباح كلاب
الضوء سلاح ضدك ،
منبثق من أصقاع الظلمة
وملامحك السمراء ستفضحك ،
اكتمل حصار الغابة
الازهار ، وساحات الامن ،
ثمار الغابة ، تفريد طيور الغابة
ظلمتها ، رهبتها ، سحر كثافتها
ولون الغيم على حافتها .. تتحول انياب
تكتشف، البند الاول في قانون الغاب
وبومضة عين تتعلم نقل الخطو الواجف
بين قطيع ذئاب
ـ « سلّم نفسك »
النبرة ضاقت ،
دائرة الضوء تضيق ،
الصوت الآمر يعتصر الحلم
يضيق جدران الذكرى
يمسح اشجار الغابه
تضحي الارض فلاة ،
لا تمنح ظلا اوملجأ
وتفيض عليك الظلمة حتى تصبح في سم الابرة محصورا
حين يجيئك صوت سلاح يتهيأ
تتلفت :
كل دروبك تبدأ من موتك
تمتد الى موتك في فوهات بنادقهم
تدرك انك مطلوب ميتا في كل قوانين الدنيا
تستعرض عيني امك مترعتين دموعا ،
وجه حبيبتك الحلو
ورعدة والدك الراجف
تبصر صورتك على الصفحات الاولى
من صحف الوطن الغافي
تصبح اوسمة يلتحف بذكراها كل نيام الامة
كلمات تكتب بالحبر الأحمر ـ هل سيسيل دمي ؟ـ
توحي بالنبأ العاصف
آخر مبتكرات العلم لغسل الذمه
تدرك كم وجها
كم شهرا
كم شبرا من تلك الارض عليك تواطأ
اصبحت، هنا ، المطرود بكل سلاح
وبكل فضول الحقد الخائف
عربي أنت :
تهاوت من حولك اسماء الناس
تواريخ الجهل
بداة في اقبية اللذة
في احدث سيارات العصر
ركام ما افناه الدهر الخائن ،
اذ مر عليه وابطأ
ورايت بمرآة الصوت الآمر
هنديا احمر يستفرد في البار
وزنجيا حوصر في الحي الابيض
نسرا مجروحا يأكله النمل على القمة
ورايت الصيادين يعودون بوحش
وصغارا مدفوعين بسحر الخوف الى الفرجة
يتألق فيك الزمن الهارب ، تختطف الومضة:
« لو اني قبل الآن صحوت
لو ان دقائق اخرى تمنح لي
لاعوض زمنا فيه لهوت »
تستعرض زمن النضج المقسور ،
ثمار رجولتك الفجة
أيام قدرت على الظلم ، وايام عفوت
لو ان الثانية ـ الخطأ (وقد القتك الى الفخ)
اكتسبت من زمن فيه غفوت
لو ...
تتسارع اقدام تركض نحو المخبأ
تطرد سحر الحلم الخادع
حين تحدد مكمن هذي الضجة
ـ « سلّم نفسك »
آخر انذار قدمه الصوت
تعتصر زناد سلاحك ،
تطلق ما تلحق ان تطلقه
قبل وصول الموت .

دمشق

ممدوح عدوان